

دجال في بغداد

سراج حسين فتحي

رجال من بغداد

وجد



يوسف نفسه مرغما على الذهاب إلى محطة الحافلات بمدينة بغداد للسفر منها إلى مدينة البصرة ، فالمبلغ الذي بحوزته لم يعد كافيا لحجز مقعد على أي طائرة تتوجه إلى مدينة جدة ، كما أن بقاءه في بغداد يحتاج إلى أجرة الغرفة بالفندق ، وتوفير أجور التنقل بالسيارات داخل المدينة إن كان لديه رغبة ، وليس في جيبه قيمة ما سيتناوله من طعام خلال مدة إقامته إن فكر في ذلك ، ولأنه كان في حالة لا يحسد عليها ماليا ، فقد اضطر إلى استدانة ما يظن أنه يكفيه من بعض أصدقائه العاملين بالسفارة السعودية والذين تعرف عليهم عن طريق صديقه عبد الله والذي تعرف عليه في مطار جدة ومن ثم رافقه إلى الكويت، ولولا أن طريق العودة إلى مكة المكرمة طويل ، والمسافة بعيدة لما طلب يوسف من أحد أية مساعدة.

رجال من بغداد

توقفت الحافلة في مدينة واسط ، ونزل الركاب منها لأداء صلاة الظهر وتناول طعام الغداء ، لم يكن يوسف من بين الذين تجمعوا حول طاولات الطعام داخل المطعم ، بل اكتفى بشراء قارورة ماء ليبل بها ريقه الذي لم يذق طعاما منذ الصباح ، ويسلي بها نفسه حتى يعود الركاب كل واحد إلى مقعده ، وعندما واصلت الحافلة رحلتها وخلال الطريق إلى البصرة ركب بجواره شابان من أصل باكستاني يحملان الجنسية البريطانية ، بدأهما بالسلام كمدخل للتعرف عليهما ، وبعد أن عرف اسميهما وعرفا اسمه وبلده التي أتى منها ، وعرفا منه أنه يريد البصرة مثلهما طلبا منه مرافقتهما لمساعدتهما خلال وجودهما في مدينة البصرة طالما أنه عربي ، وبدون أي تردد قبل العرض ، وقد كان أمله من قبل التعرف على هذه المدينة التاريخية التي قرأ عنها كثيرا في الكتب ودرس عنها في مواد التاريخ ، ولا شك في أهميتها فهي من المدن



العراقية المشهورة ، ولعلها تضاهي بغداد شهرة من حيث الأحداث الجسام التي مرت عليها ، كما أن موقعها الاستراتيجي لا يمكن إنكاره.

لما وصلت الحافلة مدينة البصرة وبدأت تجول في شوارعها لتصل إلى موقفها الأخير ، رأى يوسف أن هذه المدينة قديمة بكل ما تعنيه هذه الكلمة، كل شيء فيها يتسم بالقدم ، وكأن غبار الزمن قد أعطاها مسحة كثيفة فهي لا تستطيع إزاحته عن كاهلها ، ورغم أن الوقت ما يزال في أواخر النهار و لا تزال الشمس ترسل بقية من أشعتها لتضيء بعض زوايا وحارات المدينة العتيقة ، إلا أنها بدت وكأنها تغط في نوم عميق ، أو كأن الليل قد أرخى سدوله عليها مبكرا ، وكلما مرت الحافلة بشارع أو حي من أحيائها كان يوسف يزداد قناعة بأنه لا ضرورة لبقائه لحظة واحدة بها ، ولا يدري عن السبب الخفي الذي دفعه نحو هذا الشعور العارم بالانقباض منها ، وربما كان السبب الأول في ذلك رؤيته لشوارعها وبيوتها القديمة جدا وأنهارها الضحلة ، لم يجد تفسيرا لكل هذا لكنه سارع فأخبر الشابين الباكستانيين بذلك وأنه سيغادر البصرة إلى الكويت فورا ، وهذا ما حصل بالفعل.

عندما استدان مبلغا من المال من أصدقائه في السفارة السعودية ببغداد أخبرهم عن السبب ، فقد وقع في فخ أحد الدجالين الكثر المعلقة لوحاتهم على جدران وزوايا شارعي الرشيد و السعدون ، وهما من الشوارع الرئيسة ببغداد ، ولأنه كان يتجول في هذه المدينة الواسعة المترامية الأطراف ، وكان

حب الاستطلاع هو الدافع القوي للتعرف على أشياء كثيرة فهي رحلة العمر بالنسبة له ، وهي أول خروج له من بلده ، وفي بغداد وشوارعها أشياء كثيرة تلتف الانتباه ، وأشياء عدة تجبر المرء على التوقف مرارا ، وربما تدفعه إلى المغامرة للتجربة ، ولولا بقية من دين وبقية من أخلاق لتورط أكثر فأكثر ، ولكن الحمد لله أن حفظه من الوقوع في مزيد الورطات.

لما رأى يوسف كثرة اللوحات الدالة على وجود أشخاص يزعمون كشف المستقبل وحل المشكلات ، ولما لم يكن في مدينته مكة المكرمة شيء صريح مثل هذا ، تردد في ارتكاب هذه المغامرة كثيرا ، لكنه تجرأ



ودخل إحدى هذه العيادات – إن صح التعبير – ، كانت اللوحة الدالة عليها تقول: " أبو العباس الفلكي يكشف لك المستقبل ، ويحل لك

مشكلاتك ، ويساعدك على قضاء حوائجك " ؛ ولما دخل الدور الأرضي منها حيث استقبال الزبائن ، وجد مجموعة من الرجال يجلسون ، بعضهم على مصطبة مغطاة بمفرش قديم ، والبعض الآخر على كراسي خشبية ليست أقل قدما من المصطبة وغطاءها ، وكان مجلسهم في باحة مكشوفة السقف ، وعند المدخل يجلس شخص على مكتب كأنه موظف الاستقبال ، ألقى يوسف السلام على الجلوس فردوا عليه ، وبادره ذلك الموظف بسؤاله عن حاجته ، فأخبره برغبته في مقابلة الشيخ ..!

بعد مرور ساعة تقريبا على دخوله ، ولما حان موعده صعد إلى الدور الثاني فوجد الشيخ أبو العباس الفلكي يجلس على كرسي وأمامه طاولة بسيطة بجوارها كرسي الزبون – كما يبدو – وبالفعل فقد طلب منه أن يجلس على الكرسي المواجه له ، وكان الشيخ يضع على رأسه عمامة بيضاء ، ويرتدي جبة بنية اللون وليس له لحية أو شارب ، ويتمتع بصحة جيدة وجسم قوي ، فهو شاب قد يكون في الثلاثينيات ، سأله الشيخ عن سبب مجيئه إليه وعن حاجته فقال له يوسف :

أنا أدرس في قسم علم النفس بالجامعة ، وقد درسنا في هذا العلم النفس البشرية ومشكلاتها وخصائصها واحتياجاتها ، وهذا ما دفعني إلى محاولة التعرف على ما لديكم وما تقومون به كما أننا درسنا في بلادنا في المواد الدينية أن السحر حرام وأن الدجل والشعوذة لا تجوز فهل يمكنكم تعريفي بما لديكم .



قال أبو العباس الفلكي: أولا أحب أن أقول لك أن ما نفعله وما نقوم به ليس بسحر، بل هو علم الروحانيات الذي درسناه في معهد خاص بمدينة النجف، وليس له علاقة بالجن أو الشعوذة ونحن نعرف أيضا أن السحر حرام ولا يجوز، وما نقوم به هو محاولة التعرف على ما سيحدث في المستقبل بالنسبة للزبائن من خلال قراءة الكف ومساعدتهم على حل أي مشكلة يواجهونها أو قد تواجههم مستقبلا، ونحن لا نعلم الغيب فهو من الله وله وحده ..!

لم يشك يوسف لحظة واحدة في صدق الرجل فقد بدا صادقا يتحدث بلهجة واثقة وصريحة ، ولذلك وعندما سأله عما يريد منه قال له يوسف :

أريد أن أتعرف كيف تقرأون الكف فهذا لا يوجد في بلدي ، وما ذا تعملون بعد القراءة ..!!

يبدو أن الشيخ لم يصدق أنه وقع على صيد سمين ، وربما سال لعابه عندما عرف أن يوسف من أرض الحرمين بلاد البترول ، والعملة السعودية في العراق غالية ، وقد جاءت الفريسة إليه بنفسها تسوقها قدماها وبرغبتها ، لكنه لم يظهر عليه أي شيء فقال ليوسف : يا مرهون هات كفك لأقرأه ...!



مد يوسف كفه الأيمن ، وأخذ الشيخ يتفحص فيها ويمرر أصابعه على أنحائها كمن يبحث عن كنز ثمين وبعد انتهاء جولته ، قال له : يا مرهون .. لديك مشكلات كثيرة ولابد أن تحلها و.. ، وأخذ يسرد عليه كلاما كثيرا لم يحفظ منه شيئا ولكنه يتذكر قوله : يا مرهون هناك امرأة قد عملت لك

عملا ، وهذا العمل سيؤثر على حياتك مستقبلا إن لم تحله ، ولديك آلام في الظهر ولا بد أن تعالجها ..!

لم يستطع يوسف أن يتبين الحقيقة من الوهم ، وهل ما قاله الشيخ صحيح ، وهل هناك امرأة بالفعل قد عملت له سحرا ، وما يدريه فما تحدث عنه الشيخ في علم الغيب ، ولا يمكن التأكد من صحة ما قيل أو كذبه ، فهذا في علم الله ، وبعدما كان دخول يوسف على الشيخ لمجرد التعرف على بضاعته ، أصبح أسيرا كلامه وشعر بحيرة شديدة لم يدر معها كيف يعمل وماذا يعمل ، فهل يترك الشيخ ويخرج أم يستمر معه في الخط ، وهل إذا لم يستمع لنصيحة الشيخ بحل السحر سيصيبه شيء أم أنه يعمل بالنصيحة ويحاول فك السحر... ، لكنه وفي محاولة للخروج من المأزق سأل الشيخ : كم أدفع لقاء قراءة الكف..؟

أجابه الشيخ مباشرة : ربع دينار ، لكن هذا لا معنى له إن لم تحل المشكلة.. !

سأله يوسف وقد ازدادت حيرته : ما المطلوب مني إن أردت حل المشكلة..؟

قال له الشيخ : لابد من الاتفاق على موعد آخر لأتفرغ لك ولأحضر بعض الأشياء . !

وجد يوسف نفسه في دوامة ليس لها أول ولا آخر وكلما أراد الفكاك منها ازداد غوصا في وحلها ، وكمحاولة أخيرة للخروج منها قال للشيخ : سأفكر وسأعود إليك لتحديد الموعد ..!

وخرج من الموقع وهو لا يكاد يصدق ، وفي الطريق إلى الفندق سيطرت على رأسه أفكار مشوشة ، هل سيعود بالفعل إلى الشيخ أم يدعه وشأنه ، وهل إن لم يفعل ما نصحه به سيحدث له أي مكروه وهل إن نفذ النصيحة ستحل مشكلاته ، وسيفك عنه السحر الذي أخبره به الشيخ ..؟

ولما وصل يوسف إلى الفندق المطل على الضفة الشرقية لنهر دجلة ، ودخل غرفته بالدور الأرضي ، لم يكن أمامه سوى استشارة صديقه عبد الله الذي كان يقيم في الفندق نفسه ، فرفع سماعة الهاتف واتصل به على غرفته ، لم يجده لأن دوامه بالسفارة لم ينته ، فأدى صلاة الظهر بالفندق ثم خرج منه متوجها إلى السفارة ليتناول وجبة الغداء مع أصدقائه بها على مائدة السفير والتي تحفل بكل ما لذ وطاب من المأكولات والمشروبات ، وفي الطريق كانت الأفكار تتلاعب به يمنة ويسرة ، ترى هل سيخبر أصدقاءه بما تورط فيه أم يخفي عنهم أخباره ، إلا إذا شعر بضرورة ذلك ، وماذا سيكون موقفهم وهل سيوافقونه على أية خطوة سيخطوها مع الشيخ ، أم أنهم سيحولون بينه وبين الاستمرار في الورطة ومرت السويعات وانتهى الغداء ، وعاد مع صديقه عبد

الله إلى الفندق ، ولم يخبره بشيء ، وصعد عبد الله إلى غرفته ، وذهب يوسف إلى غرفته ليخلد إلى نوم عميق لعله يستيقظ منه على رأي سديد ..!

عندما استيقظ من نومه عصرا ، وجد نفسه ما يزال في الدوامة نفسها ، لكنه بعدما أدى صلاة العصر أسرع إلى ثيابه وارتداها ليخرج من الفندق قاصدا الشيخ ليخبره بما قرره في نفسه ، وبالفعل عندما دخل على الشيخ في عيادته اتفق معه على اليوم التالي ضحى ليكمل معه الطريق..!

عندما أشرقت شمس اليوم التالي ، وبعد ما تناول إفطاره في الفندق حمل كاميرته على كتفه وخرج صوب شارع الرشيد حيث تقبع العيادة ، و في الطريق لم يحاول التراجع عن قراره الأخير ،حتى إذا وصل العيادة وجد مديرها ينتظره على أحر من الجمر ، ولم يكن المدير بأشد شوقا إلى يوسف من سيده الذي ينتظر في الدور العلوي ، وما أن دخل يوسف من باب العيادة أقفله المدير مباشرة ، ليتفرغ له الشيخ كما قال بالأمس..!

وجلس الشيخ يتفحص في صيده السمين وقد جهز عدة الشغل التي يستخدمها عادة مع زبائنه أمثال يوسف ، كانت أمامه طاولة مستطيلة وقد غطيت بقطعة من القماش الأبيض رسم عليها دائرة بيضاوية ونقوش وطلاسم وعليها وقف مجموعة من الشموع ، وبين يديه مجموعة من الأوراق الصغيرة التي لفت بطريقة خاصة ومن المؤكد أنها ستلعب بدور ما في هذه العملية ، وقد شعر يوسف بأنه لا مناص من إكمال الطريق الذي بدأه بنفسه ولم يدفعه إليه أي أحد .

طلب الشيخ أبو العباس الفلكي من يوسف مصاحبته نحو السطح المجاور للغرفة التي كانا فيها ، قائلا له : يا مرهون. .خذ هذه الأوراق واحرقها واحدة واحدة ، وعليك أن تذكر ما تريده وترغبه خلال إحراقك لكل ورقة ،



وسوف تتحقق كل أمنياتك وتحل جميع مشكلاتك بإذن الله ، ويمكنك أن تحدد الوقت والزمن التي تريده..!

لم يكن لدى يوسف أية اختيارات أخرى فقام وتبع الشيخ كما طلب منه وأخذ يمسك بالأوراق ويحرقها الواحدة تلو الأخرى وتحديد الوقت الذي يظنه مناسبا لتحقيق أمنياته وحل مشكلاته.

ولما انتهى من إحراق جميع الأوراق عاد للجلوس بجوار الطاولة أمام الشيخ منتظرا مزيدا من الطلبات والأوامر الذي قال له: الآن مطلوب منك ثلاث ذبائح ولابد أن تفعل ذلك بنفسك وفي مقبرة بغداد ليلا ..!!

وجد يوسف نفسه يغوص في مزيد من التورط، وقد فاجأه الشيخ بهذا الطلب الغريب عليه والذي وضعه في مأزق، لكنه قال للشيخ : أنا أعرف أنه لا يجوز الذبح إلا لله ، وأنا هنا غريب ، ولا أعرف كيف أشتري الذبائح ولا كيف أذبحها ولا أعرف مقبرة بغداد ولا أين تقع ، فهل يمكنك مساعدتي ..؟

لم يشأ الشيخ ترك يوسف في دوامته وحيدا فأسرع بالإجابة على تساؤلاته: أولا هذا الذبح ليس لغير الله وإنما هو من باب الصدقات ، أما القيام بهذا العمل فهذا واجبك ولا يمكن لأي أحد القيام به دونك ..!

أعاد يوسف الطلب من الشيخ مساعدته في تنفيذ هذه المهمة ، فتلكأ الشيخ قليلا لكنه أظهر تعاطفه معه باعتباره غريبا على البلاد لكن عليه أن يعطيه المبلغ اللازم ، فسأله يوسف : وما هي قيمة الذبائح الخمسة..؟



فطلب منه الشيخ مبلغ ثلاثين دينارا عراقيا لقاء هذه الذبائح ، وقد فوجيء يوسف بضخامة المبلغ لأنه يشكل معظم ما تبقى لديه من النقود التي كان يحملها معه من بلده ، لكن كان عليه أن يدفع للشيخ ، وأخبره بأنه ليس معه الآن كل المبلغ وعليه الذهاب معه إلى الفندق لتسلمها.

خرج الشيخ برفقة يوسف وأخذا سيارة أجرة متوجهين صوب الفندق الذي يقع على الشط الشرقي لنهر دجلة وعلى شارع أبو نواس، وعندما

وصلا إلى موقع الفندق أخبر الشيخ يوسف أنه لا يستطيع الدخول معه وسينتظره في الشارع، ولمك تمض دقائق حتى كان مبلغ الثلاثمائة ريال سعودي في قبضة الشيخ الذي ما كان يحلم بها من قبل، وما أن أخذها حتى ودع يوسف وداعا حارا طالبا منه إرسال دشداشة سعودية هدية منه عندما يصل بلده.

